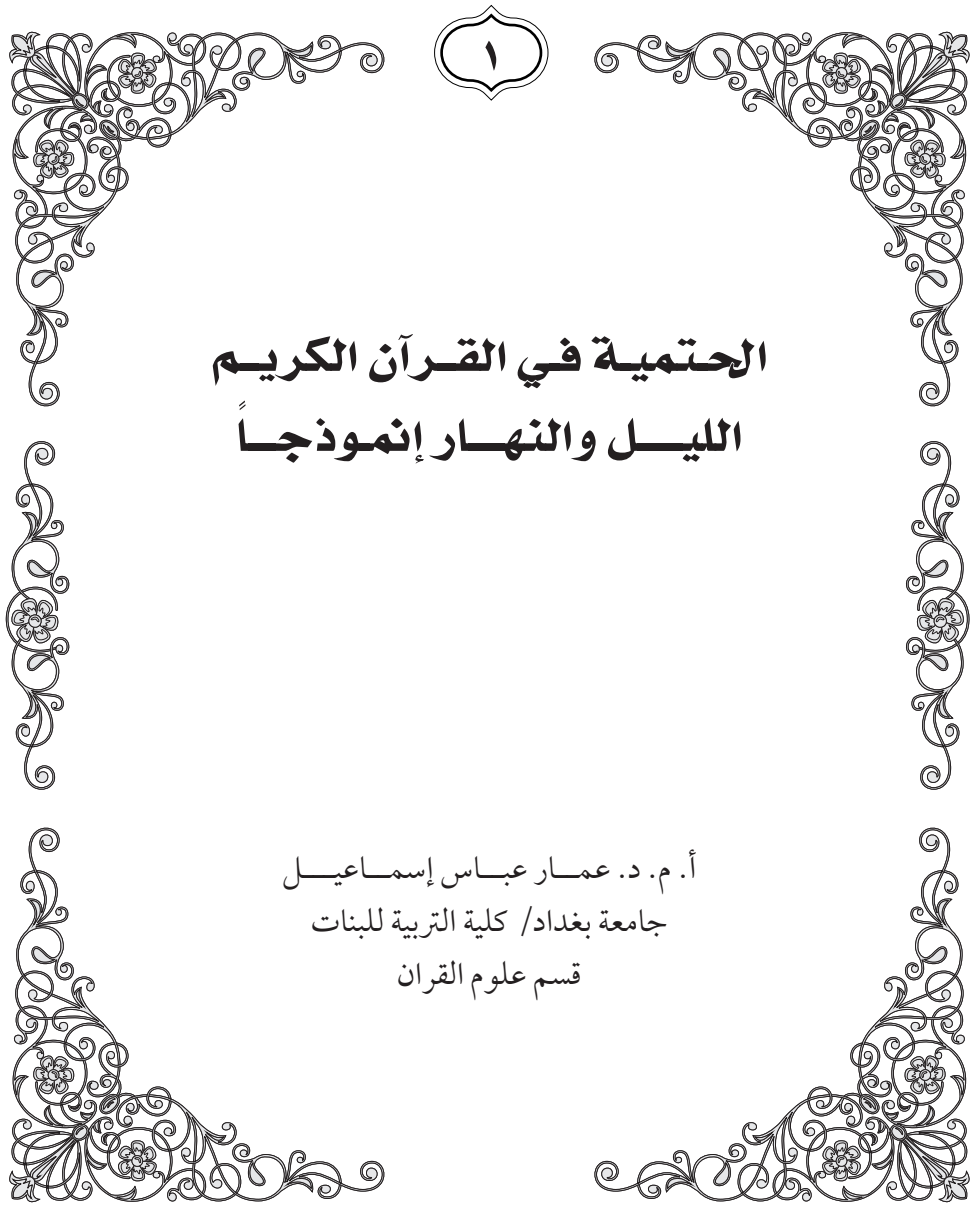

١

الحتمية في القرآن الكريم
الليل والنهار إنموذجاً

أ. م. د. عمار عباس إسماعيل
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات
قسم علوم القران

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

Abstract

God has revealed and appointed in Quranic Sunna cosmic and

urged us to think about and to stand on its secrets, and wisdom in terms of inference on the greatness of the Creator and know the universe The nature of the research required that it be divided into:

the first research: definition of determinism and its concept. Search in: The manifestations of determinism at night and day. Search in: manifestations of the inevitability of the sun and the moon and its relationship to night and day.

Then the conclusion summarized the most important research results, namely:

A. Multiple manifestations of the dream in the Holy Quran.

B. . In the research, the night and day were revealed as two verses and their relation to the sun and the moon.

C. . He laughed the meaning of the Takuir and the accuracy of the Quranic choice of words and employing them to serve the text.

المقدمة

الحمد لله أنزل لنا كتاباً لا تنفذ عجائبه، وأمرنا بالتفكر والتعجب لاستخراج مكنون حكمته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتيَ من الكلم جوامعه وعلى آله وأصحابه إلى يوم اللقاء والدين، أما بعد:

فلقد بين الله سبحانه وتعالى في قرآنيه الكريم سنناً كونية وحثنا على التفكر فيها والوقوف على أسرارها، وحكمها من حيث الاستدلال على عظمة الخالق و التعرف على الكون وأسراره لذا جاء عنوان البحث (الحتمية في القرآن الكريم الليل والنهار -إنموذجاً-).

وبعد هذه الكلمات اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مقدمة وثلاثة مباحث.

تناول المبحث الأول: تعريف الحتمية ومفهومها.

والمبحث الثاني: مظاهر الحتمية في الليل والنهار.

والمبحث الثالث: مظاهر حتمية الشمس والقمر وعلاقتها بالليل والنهار.

ثم جاءت الخاتمة لخصت فيها أهم النتائج في هذا البحث.

مفهوم الحتمية وموضوعها وطبيعتها

تعتبر الحتمية من المسائل ذات الوجود الدلالي في الفكر الإسلامي، باعتبار ارتباط الأسباب بالمسببات من ناحية، وباعتبار ما قضى به الله في الكائنات ويجرى في سننه الكونية داخل الأمور المشاهدة والغيبية من ناحية أخرى.

كما أن فكرة الحتمية طرحت داخل إطار الفكر الإنساني، من ناحية المنظومة الفلسفية تارة، والفيزيائية تارة أخرى، بل إنها ظهرت في الجوانب الأخلاقية والاجتماعية، بجانب العلوم العقلية، وبخاصة ذات الصلة الوثيقة بالواقع العملي.

ومن ثم كانت بحاجة لدراسة موضوعية، مهمتها إظهار الحتمية كفكرة إنسانية، وما يتعلق بها من الناحية العقدية داخل النصوص الشرعية، وذلك يستلزم تحديد المفاهيم والمصطلحات أولاً، وسيكون ذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الحتمية

وردت مادة الكلمة – ح ت م – في القرآن الكريم بلفظها مرة واحدة فقط، في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[1].

قال الإمام الفخر الرازي: "أي واجباً مفروغاً منه بحكم الوعيد" [2]، وتنفيذه أمر واقع حتماً؛ لأنه مما جرى به قضاء الله[3].

وعلى هذا يكون المعنى أن ذلك الورود قضاء لازم لا يمكن خُلفه[4]. ثم أنهم اختلفوا في معنى

(١) سورة مريم: الآية ٧١.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٤٩٦ .
(٣) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم ٤٥١.
(٤) صفوة التفاسير ٢/ ٢٠٥.

الورود [1]، هل هو الدخول فيها ؛ أم المرور عليها . إلا أن الورود أمر صار حتمياً وقضاءً لازماً لا يدركه لأنه مما جرى به حكم الله تعالى في قضائه، وورد ذكره في كتابه.

هذا وسوف أتناول معنى الكلمة في لغة العرب، والاصطلاحات التي تعنى به أيضاً، وسأبدأ بالمعنى اللغوي؛ لأنه الصورة والمفهوم الحقيقي للكلمة.

أ- في اللغة: وردت مادة الكلمة (ح ت م) في لغة العرب على أنحاء عديدة منها:

١- القضاء المحتم: تقول العرب هذا الأمر (حتم مقضي)[2] أي حكم لا رجعة فيه، ولا يقبل الخروج عليه، فيكون حكماً قُضى به، أو قضاء حكم به على جهة الإتقان.

ومن أشعار العرب في هذا المعنى:

عِبادُكَ يُخْطِونَ وأَنتَ رَبٌّ بكَفَّيْكَ المَنايا والحُتومُ [3]

٢- اليقين المطلق: تقول العرب في كلامهم: «هذا حتم مقضي، وحكم مرضي» [4] وهذا مما يتعلق بأقضية الله ﷻ عند المؤمن بها.

فعندما تقول حتم الله الأمر، يكون المعنى قضاء على سبيل الاستيقان، بأن ما حتم الله كائن، ومن وقف على هذا المعنى حصل له اليقين المطلق.

٣- ما يقع في القضاء حكماً: ومن ذلك قولهم: « حتم عليه « بمعنى حكم، والحاتم الذي يقضي الشيء، وهو كالحاكم، ويقصد به كل علاقة شرطية بين دعوى وحكم، وتتمثل في القضاء الذي لا يقبل النقص، ومن ذلك قولهم:

لَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ [5]

وعليه فكل ما يقع في نطاق الحكم الذي تصدره دائرة قضائية لا يملك أحد نقضه، ويدخل في هذا الباب، ويكون أمراً حتمياً.

٤- الوجوب اللازم(٦): ويعنون به ما يقع على سبيل الفرض، بحيث لا يمكن التخلي عنه، فيقولون: « انحتم « الأمر و « تحتم « [7]، بمعنى وجب وجوباً لازماً لا يمكن إسقاطه، ولا يستطيع أحد الانفكاك منه.

٥- ما فضل أو تخلف: تقول العرب: « حتم « فلان حُتامة، و» الحُتامة « ما يبقى على المائدة من الطعام، أو ما سقط منه إذا أكل، وتحتم أكلها[8].

بحيث يكون هذا الفاضل لا يمكن تجاهل

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٩.
(٢) أساس البلاغة ١١٢.
(٣) لسان العرب ٧٧١.
(٤) أساس البلاغة ١١٢.
(٥) معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٣٥.
(٦) قصدت بذلك التفرقة بين ما يكون وجوبه كفائياً ويسمى بالواجب الكفائي، وبين ما يكون وجوبته لازماً ويسمى الواجب اللازم أو الضروري.
(٧))المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ١/ ١٢٠.
(٨) ترتيب القاموس المحيط ١/ ٥٨٧.

وجوده، كأنه فرض نفسه على غيره، ومن ثم فما يبقى على شيء ما، أو يسقط منه ولا حيلة فيه فإنه يكون أمراً حتمياً.

٦- العلاقة الربطية: يقولون: هذا « أخ حتم »[١] ومعناه أن العلاقة الرابطة بينهما هي النسب نظراً لكونهما من أصل واحد وجاءا، أو في رحم واحد حُملا.

وتقول العرب في ذلك المعنى: أنت لي بمنزلة الولد الحتم ويقصد به الولد الصلب المحض، فهو الولد الحق المحتوم، الذي لا يُشك في صحة نسبه[٢].

ومنه قول الشاعر:

فوالله لَا أَنساكَ، مَا عِشْتُ، لَيْلَةً
صَفِيِّي مِنَ الإِخْوانِ والولدِ الحَتْمِ[٣]

وبالتالي فكل ما بين طرفين من علاقة ترابطية، إنما يتم على سبيل الحتم وإذا وقع انفصال بينهما، كان أمراً عارضاً داخلاً في نطاق الاستثناءات.

ومن ثم تبين أن دلالة مادة - ح ت م - في اللغة يمكن أن تقدم جملة من المعطيات التي تتعلق بالحتمية الدينية، كالحال في المعنى الأول؛ لأن القضاء المحكم فعلٌ من أفعال الله تعالى، والإيمان به جزء من أجزاء العقيدة الدينية، والعقيدة الإيمانية.

كما أن المعنى الثاني يدخل في دائرة الحتمية الغيبية، لقيامه على يقين مطلق، عماده الفطرة القلبية السليمة، والمعرفة العقلية الواعية، فإذا تلاقى الطرفان، عبرا عن حتمية لا تنفك، لكن صورتها دينية.

وكذلك نجد المعنى الثالث، يعبر عن الحتمية الدينية في مقدمتها النقلية، ونتائجها الإطرادية، ممثلة علاقة إيجابية بين العبد وربه من الناحية التبادلية.

في حين يتعلق المعنى الرابع بالحتمية الفيزيائية على أساس أنها تتعامل بالفروض لا يمكن لها أن تنفك عنها.

بينما المعنى الخامس يتعلق بالحتمية التجريبية، من خلال فكرة الاستقراء، كما يتعلق بالحتمية الأصولية من خلال دليل[٤] السبر والتقسيم وهو: « حصر الأوصاف في الأصل المقيس عليه وإبطال ما لا يصح بدليل، فيتعين أن يكون الباقي علة »[٥]. لأنه فيما فضل يمثل طريقة البواقي، وفيما تخلف يمثل طريقة الإسقاط، وكل منها حتمية استقرائية، وأصولية أيضاً، وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله جل شأنه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦]، فإن هذا تقسيم حاصر لأنه ممتنع خلقهم من غير خالق خلقهم،

(١) المعجم الوجيز مادة (حتم) ١٣٤.
(٢) أساس البلاغة ١١٢.
(٣) لسان العرب مادة (حتم) ٧٧٢.
(٤) وقد وصفه الإمام الغزالي بأنه دليل صحيح؛ وذلك بأن يقول هذا الحكم معلل ولا علة له إلا كذا وكذا وقد بطل أحدهما فتعيين الآخر. ينظر: المستصفى في علم الأصول ٢٩٥-٢٩٦.
(٥) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ١٤٢.
(٦) سورة الطور: الآية ٣٥.

وكونهم يخلقون أنفسهم أشد امتناعاً، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم، وهو سبحانه [1].

كما أن المعنى السادس تظهر فيه الحتمية الرياضية القائمة على العلاقات الترابطية، ولو من الناحية الصورية، وأعني بها ظهور النتائج في مقدمتها الصحيحة المسلمة.

ب- في الاصطلاح: لما كان الاصطلاح يمثل العلاقة الوطيدة بين فن من الفنون، أو علم من العلوم، بما هو قائم في عقول أصحاب هذا الفن أو ذاك العلم، فقد صارت الاصطلاحات الخاصة بمثابة المفاتيح التي تستعمل في فهم هذه العلوم، ونظراً لكون الحتمية تتنوع، فإن تقديم تعريف اصطلاحي لها لا يكون مفيداً إلا إذا ارتبط كل تعريف بنوعه، لكون التعريف بالذاتيات أولى من العرضيات، والذاتيات في المعاني الفكرية تؤخذ - غالباً - من موضوعاتها أو فوائدها وغاياتها.

وبناء عليه فإن تعريف الحتمية هنا سيكون من خلال الآيات القرآنية التي جاء فيها لفظ الحتم صريحاً كقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾[2]، فالمرور على ظهر جهنم أمر مفروض من قبل الله تعالى، حتماً على العباد، سواء من تمكن بفضل الله فاجتاز، ومن بالأعمال السيئة سقط، وسيكون هذا المرور فوق الصراط لقوله ﷺ: "يضرب الصراط على ظهر جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجوز".

أو التي جاء فيها اللفظ من خلال الإشارة الدلالية، كالحال مع قوله جلّ شأنه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]، إذ أن هذا النفي قاض على وجود فكرة الاحتمالات، مؤكدة طبيعة الحتمية، من خلال المفهوم الوارد في النصوص الشرعية، ومن هنا يمكن تعريف الحتمية الدينية بأنها: " ارتباط أفعال الله، وأوامره، وأحكامه بالناشئ عنها والمترتب عليها ارتباطاً لا يمكن فصل عراه الموثقة أو تباعد الشقة بين طرفيه لأنه محكم من عند الله، مقضى به من لدنهِ جل علاه " [5].

وعليه فالحتمية الدينية (الشرعية) هي التي وردت بها نصوص الشريعة الإسلامية، واقعة في السنن الكونية، وما تجري به الأسباب العادية، مثل حركة الليل والنهار، وجريان الشمس والقمر وما كان من هذا القبيل، في دار الدنيا، وما يتعلق

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٢٢

(٢) سورة مريم: الآية ٧١.

(٣) سورة يونس: الآية ٦٤.

(٤) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٥) هذا الذي يتعلق بالحتمية هنا من خلال الفهم للنصوص، بعيداً عن التعرض للقضايا الفكرية على الناحية الكلامية، كالحال مع القضاء والقدر، أو الأفعال الإلهية والإنسانية، إذا موضوع هذه الدراسة واقف على ما تدل به النصوص الشرعية مباشرة في مجال عرض الحتمية من الناحية الدينية.

ومن هنا أود الالتفات إلى أن الحتمية التي سأقوم بدراستها هنا، إنما هي الحتمية الدينية التي تجري بها السنن الإلهية.

ثانياً: موضوع الحتمية بوجه عام

موضوع الحتمية بوجه عام هو: ما يجيء في سنن الله الكونية، وتقتضي به أوامر وأحكامه، ويتم من خلال أفعاله [1]، وما يتعلق بموقف العبد منها في دار الدنيا، وعلى ما يفهم المرء العاقل من تلك النصوص، من فتح باب الاستثناء في تلك القواعد الحتمية .

هذا على اعتبار أن هذه السنن الإلهية تجيء فيها الحتمية عادية، بالنسبة لأفعال الله ﷻ فيمكن تخلفها متى أراد الله ذلك، وليست عقلية.

ومن نافلة القول، أن موضوع الحتمية الدينية، سأعرض لبيانه أثناء تناول كل نوع من الحتمية بوجه عام، حتى يكون النوع، والموضوع في سلة واحدة، تكون المظاهر التطبيقية هي المعيار القائم من خلال النصوص الدينية، لأن هذا المعيار هو الذي أمضى الشوط معه.

وأود الإلماح إلى أن لفظ الحتمية، قد يرد على وجوه ثلاثة بالمعنى العام، منها وجهان غير مقبولين ووجه هو الذي أعول عليه.

أما الوجهان غير المقبولين فهما:

١- حتمية فيض العالم، أو صدوره، عن العلة التامة (الله): لأن معناه نفي الإرادة الحرة، والاختيار الكامل، عن الله ﷻ، وإسقاطه العلم والقصد، الكامن في طبيعة الإرادة، وإحلال الجبر والإكراه والعشوائية، أو المصادفة محلها، وهذا مما يستحيل وصف الله تعالى به.

لأنه جل شأنه على هذا الوجه من الحتمية يكون كضوء الشمعة، أو نورها الذي صدر منها أو فاض عنها، ولا تملك تلك الشمعة حجب ضوئها أو إمساك نورها، فهو فيض أو صدور حتمي .

ولذا كان كفر القائلين بالفيض، والصدور، لأنهم جعلوا الله مكرهاً مجبراً لا مريداً، فاعلاً بالفيض أو الصدور لا يكن فيكون.

٢- حتمية قيام الأسباب على المسببات من الناحية العقلية: فهذا الوجه ينتهي إلى أن الأسباب، هي الفاعلة لمسبباتها، على سبيل الحتم، وليس علم الله وإرادته وقدرته، فتحولت الأسباب إلى فاعلة لا علاقة لها بالإله، ومن هنا وقع الفساد ونشأ عنه الكفر والإلحاد، نظراً لعدم احتياجهم إلى الخالق العظيم جل علاه، كالحال مع البراجماتية والديانات الوضعية، فالأسباب هي الفاعلة الثابتة، وهذه حتمية علمية عقلية، سببية، وكلها غير مقبول شرعاً.

(١) وقد توسع الإمام الغزالي في عرض ما يتعلق بالأفعال الإلهية في مؤلفاته العديدة، ثم لخص هذه الجوانب في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد القطب الثالث. ينظر: راجع الاقتصاد في الاعتقاد.

أما الوجه المقبول هنا فهو: ما يتعلق بأمر الحتمية الدينية القائمة في ضرورة انصياع المخلوقات للخالق على أساس أن أحكامه ثابتة، وسننه مطردة، ورحماته سابغة [1] ظاهرة وباطنة، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2] وموضع الاستشهاد أن الحتم المفروض، قد تم على وجه دقيق في سرعة استجابة السموات والأرض[3] لمراد الله منهما، وكذا رضى كل واحد بنصيبة من الأمر [4]. قال العلامة الزمخشري: " أن الله تعالى أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع، إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع " [5]

وفي هذا تصوير لأثر قدرته، وشمول إرادته، وحرية تصرفه في الممكنات وفق علمه، ومراده منها، كما أن في" نزول السماء على أمر الله، طوعاً لا كرهاً إشارة إلى تمام نفوذ سنن الله فيهما" [6] ؛ وذلك لأن الطاعة دائماً هي شأن تمام الأمر، والرضى به.

ومن ثم أخلص إلى أن موضوع هذه الحتمية قد جاءت مظاهره على الوجه المشروع، طبقاً لما هو قائم في قضاء الله، نافذ بقدرته، مرتبط بسننه الإلهية متنوع في الفلكيات والنبات والإنسان والحيوان وغيرها.

ثالثاً: طبيعة الحتمية الشرعية

تأتي طبيعة هذه الحتمية، على أمرين، فهي إما اطرادية، أو ترددية، وتفصيل ذلك كالآتي:

الأمر الأول: الاطرادية (٧)

وهي التي تكون من جهة الله تعالى اطرادية على سبيل الاستمرار والتتابع، لأن سنة الله تعالى ثابتة، في أوضاعها التي لا تتغير، وكل ما يجيء من عند الله فهو على هذا الاتجاه، لقوله تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[8].

والمعنى: " لن تتغير ولن تتبدل سنته تعالى في خلقه " [9] ولا يستطيع أحد أن يحولها على نحو غير

(١) ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة لقمان: الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ١١.

(٣) الأرض اسم جنس يشمل عدد الأرضين المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٤) الإسلام في عصر العلم ٢٢٦ وما بعدها.

(٥) الكشاف ٣/ ١٤٨.

(٦) الإسلام في عصر العلم ٣٢٨ .

(٧) يأتي الاطراد في اللغة على معنى التتابع والتسلسل. ينظر: المعجم الوجيز مادة (ط ر د) ٣٨٨. وفي الاصطلاح: هو ما يوجب الحكم لعلة وهو التلازم في الثبوت. ينظر: التعريفات باب الطاء ١٢٣.

(٨) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٩) صفوة التفاسير ٣/ ٥٣٢.

ما أراده الله لها، بل يمكن القول بأن هذا الاطراد في السنن الإلهية من مظاهر الحكمة والقصد، ويؤكد انتفاء العشوائية وسقوط فكرة المصادفة عن أفعال الله تعالى.

ويستدل على ذلك بما نراه في العلم المشاهد، فالشمس ما زالت تشرق من مشرقها، وتغرب في مغربها، والليل والنهار مازالا يتوالجان[1] ويتكوران[2] فإذا كان التوالج يمثل زيادة في أحدهما ونقصاناً في الآخر، نظراً لارتباط ذلك بالفصول، فإن هذا الأمر يطرد في العالم المشاهد، وكذلك الحال في التكوير.

وإذا كان التوالج يمثل عملية قائمة في صور الامتداد من الطول أو القصر، فإن التكوير يمثل حالاً قائماً، لا يختلف بالطول وبالقصر، وذلك لأن هذه السنن الإلهية بمثابة القواعد الكائنة والباقية والمستمرة بضمان إلهي، وكأنها تقرر أن للخلق الإلهي سنة لا تتغير ولا تتبدل، وفي ذلك دليل حسي واضح، على أنها من خلق الله تعالى وحده، حيث لا تبديل لخلق الله[3].

وكذلك الحال فيما يتعلق بعالمي الحيوان والنبات، إذ كل منهما تظهر فيه عملية الاطراد القائمة بين الأصول والفروع من غير منازعة، وما ذهب إليه التطوريون والارتقائيون[4] مجرد أحلام خادعة، خالفت النواميس الثابتة، ومع هذا فإن ما ذهب إليه هؤلاء وأولئك، لم يقم دليل صحيح عليه حتى يومنا هذا.

ونلتمس صور هذه الحتمية الاطرادية في كل فعل يفيد الاستمرار مثل (خلق) ومشتقاته كقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾[5]. وقال جل شأنه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾[6].

(١) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٦١ ﴾ سورة الحج: الآية ٦١.

(٢) قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ سورة الزمر: الآية ٥.

(٣) قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ سورة الروم: الآية ٣٠.

(٤) فكرة النشوء والتطور والارتقاء: تمثل نوعاً من الاعتقاد العلمي بأن الكائنات الحية قد تطورت وارتقت، من أنواع بسيطة إلى أنواع معقدة يعتبر الإنسان ذروتها، لكنها أفكار غير صحيحة من الناحية العلمية وغير مقبولة من الناحية الشرعية. ينظر: أصل الأنواع ٣٩؛ وتاريخ الفلسفة الحديثة ٣٠٠؛ والتفكير الفلسفي الإسلامي ٩٤؛ والإسلام ونظرية دارون ١١٠.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٢

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٠٢، وكذلك قوله تعالى في سورة لقمان الآية (١١): ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ

ومثل الفعل: (جعل) ومشتقاته في قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[2].

وهكذا نلتمس صور الحتمية الاطرادية، في نصوصها الشرعية والتي يبدو فيها الانسجام واضحاً، بين إرادة الله، واطراد القانون الذي يستمد مصدره من الله ﷻ، وهذا يمثل الأفعال الإلهية.

الأمر الثاني: الترددية

وهي تجيء من جهة العبد، تارة في الإيجاب، وأخرى في السلب وهي ترددية أيضاً في صورها، من حيث النعيم، أو العذاب المترتب عليها وبالتالي فموضوعها هو الأفعال الإنسانية ونتائجها.

ثم تبقى قائمة الفضل الإلهي، حيث يتمثل بعفوه، وفضله وكرمه حيث أنه جل شأنه يفعل ما يشاء، لا راد لقضائه ولا ناقض لآمره، إن شاء عفا وإن شاء عذّب ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

وبالتالي فموضوع الحتمية الترددية، إنما هو الأفعال الإنسانية الاختيارية التي يسأل عنها، ويحاسب عليها، ويثاب بها أو يعاقب.

المبحث الثاني
مظاهر الحتمية الشرعية في الليل والنهار

تعتبر الحتمية الشرعية مما جاءت به النصوص التي تبرز فيها سنن الله الكونية من خلال ظواهر فلكية مثل ظاهرتي الليل والنهار، وتكوير كل واحد منهما على الآخر في حين، وتوالجهما بعضهما في حين آخر. وما يترتب على ذلك من سنن فلكية تتعلق بها حركة النور والظلمة.

وسمي هذا النوع من الحتمية (الفلكي) لأن حركة كل من هذه الصور تعد تعبيراً دقيقاً عن حركة الفلك سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية[4] فما هو الفلك وعلاقته بالليل والنهار؟.

١- الفلك في اللغة: هو "جسم كروي يحيط به سطحان: ظاهري وباطني، وهما متوازيان مركزهما واحد" [4]

وكل ما شابه هذا الوصف اطلقت عله العرب اسم فلك بناء على تصويره لكل من فلكة المغزل.

يقول العلامة الفخر الرازي: " سميت فلكة لاستدارتها، وفلكة الخيمة: هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العامود لئلا يمزق

مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٢) سورة فاطر: الآية ١.

(٣) سورة الانبياء: الآية ٢٣.

(٤) التعريفات (باب الفاء) ١٤٧.

الحتمية في القرآن الكريم الليل والنهار إنموذجاً

العمود الخيمة، وهي صفحة مستديرة" [1].

وعليه نجد الاصطلاح بأن الأجرام السماوية لها فلك أو مدار يسبح كل واحد من هذه الأجرام من الآخر، كما تدور فلكة المغزل ونحوه، فكل واحد يتحرك حركة دائرية، متوازياً مع غيره في فلك لا يخلفه، كأنهم مثبتون في عمود واحد، يربطهم جميعاً.

وسوف أعرض لهذا النوع من الحتمية فيما يلي:

الصورة الأولى: حتمية الليل والنهار

تبدو مظاهر الحتمية الشرعية في العلاقة بين الليل والنهار من خلال صور متعددة أبرزها التكوير، ومنها التوالج، وفيها التقليب، وسوف نتناول هذه المظاهر والعلاقات على النحو التالي:

١- حتمية التكوير(٢):

قال تعالى:﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ﴾[3]، يعتبر تكوير الليل على النهار، صورة من صور الحتمية، نظراً لأن المعنى قائم فيها من خلال وضع الليل أولاً[4] ثم النهار ثانياً، وتأتي الصورة الثانية وهي وضع النهار أولاً، ثم الليل ثانياً، فتبين أن هذه الحتمية في صورتيها إنما تثبت وجود الله تعالى وقدرته، وتدل على كمال علمه وحكمته، وفي نفس الوقت، تأخذ بالعقل حتى توقفه على ما يجب عليه نحو خالقه العظيم جل علاه.

يقول الإمام الفخر الرازي: " إن اختلاف أحوال الليل والنهار هو المراد هنا، ويستدل على مفهوم التكوير بما ورد في الحديث الشريف من قوله ﷺ: "نعوذ بالله من الحور بعد الكور" أي من الإدبار بعد الإقبال لأن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة، ويغلب ذاك هذا تارة أخرى، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور، ولابد من غالب قهار لهما، يكونان تحت تدبيره وقهره، وهو الله ﷻ"[5].

فصورة الحتمية الدينية قائمة في غلبة كلاً من الليل للنهار وغلبة كل من النهار لليل من غير أن يبقى أحدهما منتصراً على الدوام، والآخر مهزوم على الدوام هذا من جهة، ومن جهة ثانية فأن بقاءها على تلك الصورة، ينتهي حتماً إلى الإقرار بوجود الخالق العظيم الواحد القهار،

(١) مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٢٩.

(٢) مادة التكوير تعني لف الشيء على جهة الاستدارة أو ليّه على سبيل التتابع، ومنه قول القائل كار العمامة على رأسه وكورها إذا لفها وتابع أطرافها. ينظر: المعجم الوجيز مادة (ك و ر) ٥٤٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥.

(٤) تقديم الليل على النهار جاءت له ظواهر نقلية منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٨٥-٣٨٦.

بضميمة الآية المرشح لها قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ ﴾[1]. ومظاهر هذا النوع من الحتمية بادي في ثلاثة:

أحدهما: تكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل بصفة مستمرة يومية من غير انقطاع ولا تأخير، قال تعالى: ﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[2] فالفعل يغشى يشمل الليل والنهار معاً " إذ لو كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخر، لجاء التعبير القرآني نصاً في ذلك لا يحتمل غيره، وإذن فكل الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً بإذن الله لكي يغشاه، ثم يكون ذلك على وجه التجديد المستمر، كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين[3] مع الحالية في الفعل الثاني" [4]

فالليل والنهار يتعاقبان بانتظام مستمر ويغشي كل واحد منهما الآخر.

« وهكذا دواليك في كل ليل ونهار، فكما يغطى الليل بالنهار فيتغير كل واحد منهما بالآخر، ويخلفه بلا فاصل، فكانه يطلبه طلباً سريعاً- حثيثاً- لا يفتر عنه حتى يلحقه « [5].

فتكوير الليل على النهار والنهار على الليل، وطلب كل منها الآخر عمل منتظم مستمر، إذن هو لازم حتماً لا تخلف فيه.

ثانيهما: ما يتعلق بالحال التي عليها الليل والنهار في التكوير وحركة الجري؛ لأن الحركة عمل ثابت مطرد، فلا الليل سابق النهار، ولا النهار سابق الليل، قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[6] فالليل والنهار يسبحان ولكل منهما فلك يدور فيه، وهو فلك جو الأرض الذي يدور بحركتها اليومية حول محورها أمام الشمس.

«وليس هناك تعبير أروع ولا أدق من (السباحة) لدوران الأجرام السماوية في الفضاء البسيط اللطيف»[7].

فهي حركة، مطردة، ثابتة، منتظمة مستمرة، خاضعة للسنن الإلهية، وقد أشار إليها علماء الفلك وقوانينها، وهي المعروفة الآن باسم قوانين (كيبلر) وقانون الجاذبية لنيوتن على ما يقول به أصحاب هذه المعارف، أما عندنا نحن المسلمين فقوانينها قائمة في أفعال الله تعالى، راجعة لقدرته وإرادته وعلمه وحكمته.

ثالثهما: ما يقع في الغاية التي ترتبط بنهاية

(١) سورة الرعد: الآية ٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٣) فطلب كل منهما الآخر ليغشاه، إنما يتم في هدوء من غير عنف، ولا قهر، بدليل قوله تعالى:(يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا)

(٤) الكشاف ٢/ ٣٢٠.

(٥) نحو عقيدة قرآنية، ١/ ٢٢.

(٦) سورة يس: الآية ٤٠.

(٧) الإسلام يتحدى ٤/ ١٢٥.

الأجل لا نتيجته، وهي المقصود بالأجل المسمى؛ لأن النتيجة جاءت بها آيات قرآنية كثيرة، من جعل الليل للسكن، واللباس والهدوء والسكينة، والنهار للسعي والحركة والنشاط[1].

وكذلك من تعاقب الليل والنهار فوائد أخرى لسائر الكائنات منها ما يتعلق بالنبات، وتكوين الثمر من حيث العقد والإنضاج.

وعليه فتكوير الليل على النهار مستمر على نفس الانتظام والاطراد، إلى الأجل المسمى، وهو الوقت المعلوم عنده ﷻ لإنهاء هذا الكون الذي نعرفه.

وقد دل كل ذلك على حتمية قيام السلطان المتبادل بين معسكري الليل والنهار، والنور والظلمة، إذ لا سلطان لأحدهما على الدوام إلا ويقابله سلطان للآخر مثله، فانقطع الدوام، وظهر الاطراد، وبقيت الحتمية، تعلن الإقرار بوجود رب البرية بجانب ماله من قدرة وعلم وإرادة ووحدانية، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾[2] فالخلفة هنا هي الحتمية القائمة في تعاقبهما على وجه الانضباط، وارتباط مصالح العباد بهما من الناحية المادية في معيشتهم، أو الناحية الإدراكية في التدبر والتذكر؛ ليعرف المرء العاقل حكمة الله وقدرته، ثم يسارع في شكر المنعم على نعمه الجليلة.

وبناءً عليه تكون صورة الحتمية الشرعية قائمة في مظاهرها الفلكية على النحو الذي سلف ذكره.

٢- حتمية التوالج:

إذا كان التكوير لكل من الليل والنهار يمثل حتمية دينية على ما سلف بيانه، من خلال النصوص الشرعية، فإن هذه المظاهر قد جاءت ايضاً من خلال صيغ أخرى في مثل قوله جل شأنه: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ﴾[3].

قال الإمام الفخر الرازي: " المراد أنه تعالى يأتي بالليل عقب النهار فيلبس الدنيا ظلمة، بعد أن كان فيها ضوء النهار، ثم يأتي بالنهار عقب الليل، فيلبس الدنيا ضوءه، فكان من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقب

(١) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧﴾ سورة يونس: الآية ٦٧، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٣﴾ سورة القصص: الآية ٧٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

(٣) سورة آل عمران: آية ٢٧. وقد وردت في العديد من الآيات القرآنية على هذه الصورة، ووردت في آيات أخرى بتقديم النهار على الليل.

الآخر" [1].

فإذا كان النهار طويلاً، نقص منه زيادة كانت هذه الزيادة في الليل، وإذا كان الليل طويلاً، وقع نقص منه فكانت الزيادة داخلة في النهار.

وبالتالي فمعنى التوالج هنا تبادل كل منهما الأخذ من الآخر والترك له بجانب تعاقبهما على الدوام، طبقاً لما جرت به سنن الملك العلام.

كما دلت الآية على وجود علاقة بين تداخل الليل في النهار، وتداخل النهار في الليل، وبين تداخل المتصف بمظاهر الحياة، من المتصف بمظاهر الموت، وإخراج كل واحد منها حيث قال تعالى ذات الآية: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾[2] والمعنى: أن في طول الليل، وهو يأكل من النهار في الشتاء، وطول النهار وهو يسحب من الليل في الصيف، ومماثلة ذلك بالحياة والموت يدب أحدهما الآخر، في بطء وتدرج، كل لحظة تمر على الحي يدب فيه الموت إلى جانب الحياة، ويأكل منه الموت وتبنى فيه الحياة، خلايا حية منه تموت وتذهب، وخلايا جديدة فيه تنشأ وتعمل، وهكذا دورة دائبة في كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وتبرزها هذه الإشارة القرآنية القصيرة أمام العقل البشري[3].

ثم ختم المولى ﷻ الآية بأروع ما يكون البيان، وأدق ما يكون التعبير حين قال جل شأنه: ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ ففي ذلك إشارة لطيفة لمعنى الرزاق، وأنه كما يكون في الأشياء المادية الظاهرة، يكون كذلك في المدركات العقلية، من فهم وتوظيف، لما فقه من النص، وقد نبه إلى ذلك الرسول ﷺ يقول: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين..."[4].

العلاقة بين التكوير والتوالج:

الواضح أن الحتمية الشرعية جاءت في آيات التكوير متعلقة بالهيئة التي يكون عليها كل من الليل والنهار، بحيث يطلق على ذلك حتمية الفكرة.

أما في يولج الليل في النهار، فقد عبر عن حتمية المدة، لأن كلاً منهما يأخذ من الآخر تارة، ثم يعطيه تارة أخرى... وهكذا لا يتوقف شأنهما أبداً.

والفرق بين التعبير عن حتمية الفكرة وحتمية المدة أن كلاً منهما تدل على حالة بذاتها وطبيعة قائمة بشأنها، فلا الفكرة هي المدة، ولا المدة تمثل الفكرة.

---

(١) وقد ذكر الإمام الفخر وجهاً آخر في المعنى، وهو أن يجعل الليل قصيراً ويجعل ذلك القدر الزائر داخلاً في النهار تارة، وتارة أخرى على العكس من ذلك، وإنما فعل سبحانه وتعالى ذلك لأنه علق قوام العالم ونظامه بذلك الذي يمثل الحتمية الشرعية. ٧/ ١٦٢

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٧.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٧٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١٤/ ١١٤.

٣- حتمية التقليب:

عبر القران الكريم عن هذا المظهر من الحتمية، من خلال تقليب الليل والنهار، فلا حالة لأحدهما ثابتة، وإنما هي أحوال متغيرة، فالحتمية هنا إنما هي حتمية التغير والتقليب، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[1]، والتقليب هنا يأتي في تعاقبهما من حيث مجيء أحدهما خلف الآخر، فالليل ظلمة سوداء - وتلك حقيقته الحتمية- والنهار جوهرة ضياء - وهي حقيقته الحتمية- على نحو ما جاءت به السنن الإلهية.

ثم يأتي امر الله بتقليبهما في أحوالهما، بالطول والقصر، في البرد والحر وغيرهما وامتدادهما، ووظائفهما بحيث يؤديان معاً غاية عظمى، على طريقة الحتمية المتكاملة التي تهدف لغاية عظمى، وتعبر عن حكمة بالغة.

«كما تبرز صورة الحتمية الغالية في كون ذلك تذكرة، ودلالة وعبر لذوي البصائر المستنيرة، وخصهم بالذكر لأنهم المنتقمون حيث يتأملون، فيجدون الماء والبرد، والظلمة والنور، تخرج من شيء واحد، فسبحان القادر على كل شيء»[2].

ومن ثم ظهر أن تقليب كل من الليل والنهار إنما هو من سنن الله، ويتم لأمر تعقلي في كثير من جوانبه، تعبدي فيما خفي على العقل شأنه.

يقول الإمام الفخر الرازي: " فمن هذا الوجه يدل على أن الواجب على المرء أن يتدبر، وأن يتفكر في هذه الأمور، ويدل أيضاً على فساد التقليد»[3]، لما فيه من ضلال وظلمة، ومثل ظلمة ضلال الكفار، قال قتادة: " الكافر يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة، وعلمه ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة"[4].

المبحث الثالث
مظاهر الحتمية الشرعية في الشمس والقمر

حتمية الشمس والقمر

وكذلك تبرز الحتمية الفلكية أيضاً في صورة واضحة أذا ما نظرنا إلى ظاهرتي الشمس والقمر، وجريان كل منهما في فلكه والدور الذي يؤديه والغاية المرتبطة به، والفائدة المترتبة عليه في صورة اطرادية على أساس أن ذلك من الأفعال الإلهية.

أولاً: حتمية الشمس

الشمس إحدى نجوم السماء، شأنها شأن سائر النجوم من الحركة التي تصدر عنها،

(١) سورة النور: الآية ٤٤.
(٢) صفوة التفاسير ٢/ ٣١٤.
(٣) مفاتيح الغيب ٢٢/ ٦١٢.
(٤) صفوة التفاسير ٢/ ٣١٣.

ولكنها تتميز عن باقي النجوم بأن لها مجموعة من الكواكب التي تتبعها وتخضع لجاذبيتها، فتجعل من حولها مدارات بيضاوية، تدور فيها الكواكب التابعة لها، وتنتقل تلك الكواكب مع الشمس خلال حركتها الذاتية.

«والمسافة بينها وبين الأرض تبلغ ما يقارب من ٩٣٠٠٠٠٠٠ميلاً (ثلاثة وتسعين مليون) وهذا البون الهائل لا يتغير أبداً، بزيادة أو نقص»[١] على الرغم من حركتها المستمرة، والتي عبر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[٢].

وتبدو الحتمية واضحة في هذه الآية بلمحها من خلال عدة مظاهر منها:

١- حركة الشمس: والتي عبر عنها القرآن الكريم بالفعل (تجري) وما يشير إليه من أن هذه الشمس ليست ثابتة، أو واقفة في مكان ما، وإنما يدل دلالة قطعية على أن للشمس حركة حقيقية لا يمكن التخلف عنها، وهي تدور من خلالها في هذا النظام الرائع.

والتعبير بالفعل تجري جاء معبراً عن حركة الشمس الظاهرة والتي فهمها العربي القديم، بأنها معبرة عن حركتها من المشرق إلى المغرب " وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه، ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها، وإنما هي تجري فعلاً في اتجاه واحد، في الفضاء الكوني، الهائل بسرعة حسبها الفلكيون بإثني عشر ميلاً بالثانية "[٣].

وعليه فهذه الحتمية واقعة في نطاق حركة الشمس، التي عبر عنها القرآن الكريم بلفظ (تجري) وأثبتها العلم الحديث بعد نحو اثني عشر قرنا[٤]من عصر نزول القرآن، ولنتأمل ما فيها من حكمة بالغة، وحتمية مؤكدة على أنها تجري جرياً ذاتياً.

يقول الدكتور الغمراوي: «حكمة الله في أن جعل جري الشمس حقيقة في الفضاء، يتفق خبره إذا ذكر في القرآن الكريم، مع ما علم سبحانه أن ستبدو به الشمس لعباده، نتيجة لما قدره للأرض من حركة يومية حول محورها، وحركة سنوية حول الشمس، ليكون التطابق بين الخبر والجري الظاهري فيه عبر وهدى للناس أثناء الحقبة المتطاولة التي علم الله سبحانه أن سوف تمر قبل أن يستطيع أولوا العلم الكشف عن جري الشمس الحقيقي حتى إذا كشفوه وحققوا صدق الخبر الكوني القرآني حرفياً، كان ذلك معجزة علمية كبرى، في

(١) الاسلام يتحدى ٥٨.

(٢) سورة يس: الآية ٣٨.

(٣) في ظلال القران ٣/ ٣٤٢٥.

(٤) هذا الاكتشاف قد تم منذ أكثر من قرنين تقريباً، حيث تم ذلك مع مطلع القرن التاسع عشر على يد العلماء الألمان، ونقل ذلك عنهم، وكانت هناك إشارات قرآنية قد تم الاستفادة منها.

القرآن، تقنع كل ذي عقل لم يغلبه الهوى والعناد، أن القرآن حقاً من عند الله" [1].

والملاحظ أن الحتمية هنا قد ارتبطت بأثار الحكمة الالهية، وبما يؤكد إثبات عقيدة الألوهية مع بيان دور الصفات الإلهية؛ وذلك من شأنه التأكيد على سلامة العقيدة في النفوس، وتصحيح دورها في العقول والقلوب" [2].

٢- طبيعة الحركة وكيفيتها:

بعدما رأينا أن حركة الشمس حتمية الوقوع، نرى أنها حتمية الكيفية التي تنم عليها أيضاً، فهي تسير بقدرة الله في فلك لا تتجاوزه ولا تتخطاه، فهي تجري جرياً اطرادياً، لا يمكنها التخلف عنه، بالسرعة فتسبق، ولا تقصر في جريها فتتأخر، وقد عبرت عن ذلك الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

قال الإمام الطبري: " أي لا الشمس يصلح لها أدراك القمر فيذهب ضوءها نوره فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها، ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلاً "[4]، فالشمس تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني بسرعة قدرها العلماء بنحو اثنى عشر ميلاً في الثانية، وهي حركة سريعة جداً، ورغم سرعتها هذه لا تستطيع الشمس بلوغ القمر، فهذا أمر حتمي.

وحتمته هنا تبدو متعلقة بمنافع عديدة، منها ما يخص نظام الكون واستقراره، وما يخص الإنسان ومعاشه، والنبات وتكوينه فجاءت الحتمية في صورة استحالة سبق الشمس للقمر أو تأخيرها عنه، أو جمعها معه إذ لكل منهما فلك يجري فيه بطريقة متوازية تجعل من تقابلها أمراً مستحيلاً، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[5].

فالدؤب في اللغة يعني: لزوم العمل بجد، وعلى عادة مطردة دون فتور أو توازن[6]، وعليه فيكون المعنى أنها (الشمس والقمر) جارين في فلكهما لا يفتران.

(١) الاسلام في عصر العلم ٢٤٣.

(٢) أختلف العلماء في قضية تعليل أفعال الله تعالى، الواضح أن خلافهم يقوم عند المثبتين والنافين على إثبات الكمالات. ينظر:الموافقات٢/ ٧٢٣؛ وشرح الأصول الخمسة ٥٦٧؛ وشفاء العليل٣٤٩. وعند القائلين على إثبات التنزيهات. ينظر: الاحكام في أصول الأحكام ٨/ ٥٦٣؛ والاربعين في أصول الدين ١/ ٥٠.

(٣) سورة يس: الآية٤٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣/ ٦.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٣.

(٦) وقد عرف الليل والنهار والشمس والقمر بـ(الدائبان) وذلك لدؤبهما على العمل دون سأم أو انقطاع حتى صار هذا شأنها وعادتها في الفعل. ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٧٦؛ ومجمع اللغة العربية١/ ٢٠١.

يقول العلامة الزمخشري: " جعل الشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتها، ودرئهما الظلمات، وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات "[1]

ولا شك أن سياق الآية يظهر الحتمية الفلكية في دورة الشمس من خلال صياغة اللفظ.

كما أن الشمس مستقرة في حركتها دائماً، من حيث المسافة بينها وبين الأرض، رغم سرعتها الهائلة، وحجمها الضخم، وندرك أيضاً أنها تتحرك، بل وتجري دون أن يمسكها أحد، أو يسندها شيء، ومع ذلك تحافظ على المسافة المقدرة بينها وبين الأرض، وندرك أن ذلك يمثل حتمية أخرى، نجدها في طبيعة الحركة وكيفيتها، وندرك أيضاً أن في ذلك يمثل حتمية أخرى، نجدها في طبيعة الحركة وكيفيتها، وندرك أيضاً أن في ذلك عبرة وعظة لنا، لأنه لو نقص مقدار المسافة، واقتربت الشمس من الأرض بمقدار النصف مثلاً من الفاصل الحالي، فسوف يحترق الورق الأخضر على الفور من حرارتها، ولو بعد هذا الفاصل، فصار ضعف ما هو عليه الآن، فإن البرودة الشديدة التي تنجم عن هذا البعد سوف تقضي على الحياة في الأرض[2].

وعليه فحركة الشمس من هذه الناحية حتمية الوقوع، حتمية الكيفية والاتجاه بما يؤكد أن كل شيء في الكون إنما يجري بأمر الله تعالى، ويتم من خلال قدرته، وهو محاط بعلمه تعالى، قائم في حكمته.

٣- زمن الحركة ووقتها:

بعدما عرضنا لحركة الشمس وكيفيتها، يبقى مظهر آخر من مظاهر الحتمية الفلكية في صورة الشمس، وهو جريان الشمس للمستقر المقدر جرياً اطرادياً، لا يمكنها التخلف عنه، فذلك تقدير العزيز العليم، والمقصود بالمستقر، الزمن الذي تستقر فيه، أو الوقت الذي تنتهي إليه، وهو يوم القيامة حيث ينقطع الجريان، ويتحقق المستقر.

قال ابن كثير: " وفي قوله تعالى: (لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض لحديث البخاري: أن النبي ﷺ قال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله اعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش..."[3].

والثاني: «أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم، حيث يبطل سيرها، وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته"[4].

ولا يعلم أحد غير الله ﷻ والزمن الذي قطعته

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٧.

(٢) الاسلام يتحدى ٥٨.

(٣)

(٤) ابن كثير ٣/ ١٦٢.

الشمس من يوم جريانها إلى المستقر، ولا متى تصل إليه فذلك تقدير العزيز العليم، وفعله وهو بحر الأفعال الذي لا ساحل له.. ومن أفعاله تبارك وتعالى تقدير معرفة الشمس، ومكان وزمان مستقرها[1]، فأفعاله جل شأنه كلها حتمية الوقوع، على نحو ما أراد لها وهو معنى الحتمية المرادة هنا لكن على لسان الشرع.

بقى أن نشير إلى ما في الآية الكريمة ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ من المعجزات والنبوءات، يقول في ذلك الدكتور الغمراوي: «آية من أربع كلمات تحوي في كلمتين (والشمس تجري) معجزة كبرى علمية، وتحوي في كلمتين أخريين (لمستقر لها) نبوءة[2] مذهلة ستتحقق من غير شك، لأنها قرينة المعجزة العلمية[3]، الصادرة عن فاطر الشمس سبحانه، ثم تحوي في الكلمات الأربع إعجازاً بلاغياً في مراعاة مقتضى الحال إذ تحمل في كل من شطريها تأويلاً يتفق من الظاهر للناس من حركة الشمس، وحتى يهتدى بها الناس جميعاً. من عرف سر هذه الحركة النسبية ومن لم يعرف، من عرف هذا السر اهتدى به وبالمعجزة العلمية التي حوتها الآية، ومن لم يعرف أهتدى بموافقة الآية للحركة التي يرى»[4].

والحتمية الفلكية في الشمس بادية هنا من خلال الآية الكريمة على مظاهر منها حركة الشمس ودورانها، سواء أكان ذلك على المعنى القريب المتبادر للذهن من حركة الغروب والشروق، أم كان من حركتها الذاتية التي كشف عنها الفلكيون، وقدروها بأثني عشر ميلاً في الثانية.

وكانت حتمية الاتجاه، وطبيعة الحركة وكيفيتها، وأخيراً حتمية السير إلى المستقر المقدر لها، فكل ذلك إنما يتم من خلال سنن الله الكونية التي تمضي في منظومة ثابتة مطردة، تعبر عن حتمية مفروضة من قبل الله تعالى.

ثانياً: حتمية القمر

قال تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾[5]، وتظهر الحتمية

(١) ينظر: جواهر القرآن ٣١.

(٢) لم تنقطع النبوءات الدالة على وجود الله وقدرته، والمودعة في كتابه العزيز وبخاصة في جانب الآيات الكونية، وخير مثال لها ما أخبر الحق عنها بقوله ﷻ في سورة الانبياء الآية (٣٧): ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾ ففيها دليل على وجود آيات كونية وغيرها ما زالت في طي الغيب، وأن الله سوف يكشف عنها في مواقيت محددة، فكلما وقعت حتمية ظهورها يسر الله للبشر أسباب الوصول إليها، فالحتمية هنا حتمية ظهور آيات من حين لآخر، وحتمية زمن ظهورها.

(٣) المعجزة العلمية تمثل اكتشافاً علمياً غير مسبوق، وإذا تم التعرف عليها فإنها لا تكون معجزة لأنها غير خارقة للعادة ولا مدعيها نبي، ويكون إطلاق اسم المعجزة عليها من باب التوسع في الاستعمال اللغوي.

(٤) الإسلام في عصر العلم ٢٣٢.

(٥) سورة يس: الآية ٣٩.

الفلكية من خلال قوله تعالى: (قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ) إذ لا يمكن للقمر أن يخرج عنها، بل هو محتوم بداخلها متحتم عليه أن يبدأها ثم يعود كأنه عزق النخل، الذي خلا من ثماره كما كانت بداية طلحة، فدق وانحنى واصفر فصار مثل عرجون قديم، وهو قوله تعالى في المشبه به كالعرجون القديم[1].

ثم إن مظهر هذه الحتمية هنا يعبر عنها اللفظ القرآني وينقل إلى العين والحس من خلال الحركة الفلكية، يقول العلامة البروسوي: «والقمر قدرناه، وعينا منازل له، هي ثمان وعشرون، مقسومة على الإثني عشرة برجاً، ينزل القمر في كل ليلة في واحدة من تلك المنازل لا يتخطاها، ولا يتقاصر عنها، فإذا كان في آخر منزل له دق واستقوص، ويستتر ليلتين، إن كان الشهر ثلاثين، أو ليلة أن كان تسعة وعشرين، حتى عاد القمر في آخر الشهر إلى دقته واستقواصه واصفراره، كالعرجون العتيق، وهو عود العزق ما بين شماريخه إلى منبته إلى النخلة "[2]، فالحتمية الشرعية في حركة القمر قائمة هنا من خلال وجوه ثلاثة:

الأول: حركة القمر في أول منزل ينزل، حيث يكون صغيراً دقيقاً مستقوصاً مصفراً، ولا يمكن للقمر أن يتغير هذا الحال معه ما دام ذلك من سنن الله الكونية، فإذا أراد الله أمراً غير ما تجري به سننه على النحو الذي نشاهده تغير ما هو قائم إلى ما يريد الله ﷻ.

الثاني: حركة القمر في المنتصف، حيث يعظم أمره ويعلو شأنه، ويتحول من النحافة والنحول والاصفرار إلى الجمال والكمال والاستدارة.

الثالث: حركة القمر أثناء رحيله إلى ما كان عليه، من قبل الصغر والدقة والاستقواص، والاصفرار كعرجون قديم.

وهي حتمية بارزة في ظاهرة فلكية لا يختلف الباحثون العالمون بشأنها، وإلا كانوا مخالفين لبديهيات العلم الذي إليه ينسبون، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3].

فثبت بهذا أن مسألة الحتمية قائمة في سنن الله تعالى، من غير اعتبار لشيء آخر، سوى قدرة الله تعالى، وعلمه وإرادته، وأن ما يتعلق بها، إنما يجيء دليلاً متكرراً على وجود الله تعالى، وإثبات سائر الكمالات له جل شأنه، ويدرك ذلك كله أهل العرفان بالله رب العالمين لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ

(١) هو الانعراج وهو الانعطاف، والعرجون يطلق على عود عزق النخل، الذي فيه عناقيد الرطب، الذي يعوج، وتقطع منه الشماريخ، فيدق على النخل يابساً. ينظر: القاموس المحيط ٣/ ١١-١٢.

(٢) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٣١٣.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

الخاتمة

بعد هذه الورقات التي تقدمت نستطيع أن نبرز أهم النتائج التي توصلنا لها:

١. أن الحتمية لفظ استخدمه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ﴾ سورة مريم: ٧١.

٢. تعدد مظاهر الحتمية في القرآن الكريم الا اننا أخذنا الليل والنهار إنموذجاً، لنعيش بحركة فكرية تبرز من خلال الوقوف على أسرار القرآن الكريم ومعجزاته.

٣. بينتُ في البحث الليل والنهار كآيتين وعلاقتهما بالشمس والقمر

٤. وضحت معنى التكوير ودقة الأختيار القرآني لهذه الألفاظ وتوظيفها بما يخدم النص.

المصادر

القرآن الكريم

١. أساس البلاغة، بو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الفكر- بيروت، ط/ ١٤١٥.

٢. الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغراوي، مطبعة السعادة-مصر، ط/ ١٣٩٣.

٣. الإسلام ونظرية دارون، محمد أحمد باشميل، دار الكتب العلمية، ط/ ١٤٠٤.

٤. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، دار الطباعة المحمدية، ط/ ١.

٥. أصل الأنواع، تشاليز دارون، مكتبة النهضة، ط/ ١٩٥٩.

٦. الاقتصاد في الاعتقاد، بو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ ١.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط/ ١ :١٤١٨هـ.

٨. البحر المحيط في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار كتبي، ط/ ١.

٩. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ ١.

١٠. ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، ط/ ٣.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-بيروت، ط/١ :١٤١٩هـ.

١٢. التفكير الفلسفي الإسلامي، سليمان دنيا، دار الجيل، ط/ ١: ١٤١٠.

١٣. تنوير الأذهان من تفسير البيان، اسماعيل صفي البروسوي، دار هجر للطباعة، ط/ ١.

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/ ١: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. جواهـر القرآن، أبي حامد الغزالي، دار الفكر اللبنـاني، ط/ ١.

١٦. شرح الكوكب المنيـر المسمى بمختصر التحرير، محمد بن أحمد (ابن النجار)، مكتبة العبيكان- الرياض، ط/ ١٤١٣هـ.

١٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة- بيروت، ط/ ١٣٩٨.

١٨. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط/ ١: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٩. فواتح الرحموت، عبد العلي محمد بن نظـام الدين الأنصاري، المطبعة الأميريـة- مصر، ط/ ١٣٢٤هـ.

٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، (المتوفى: ١٣٨٥ه)، دار الشروق-القاهرة، ط/ ١: ١٩٧٢م.

٢١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط/ ٨: ١٤٢٦هـ.

٢٢. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ ١: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ ٣ :١٤٠٧هـ.

٢٤. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الآفاق الجديدة- بيروت، (د.ط)

٢٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر-بيروت، ط/ ٣ :١٤١٤هـ.

٢٦. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، ط/ ١: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الرافعي، المكتبـة العلميـة بيروت، (د.ط).

٢٨. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيـة بالقاهـرة، وزارة التربيـة والتعليـم، ط/ ١.

٢٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، (د.ط).

٣٠. معجم مقاييس اللغـة، أبو الحسن احمد بن فارس، دار الجيل، ط/ ١: ١٤١١هـ.

٣١. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء

التراث العربي-بيروت، ط/ ٣: ١٤٢٠هـ.
٣٢. المنتخب في تفسير القرآن الكريـم، لجنـة القرآن والسنـة، دار بشائر- القاهرة، ط/ ١: ١٤٠٤هـ.
٣٣. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط/ ١.
٣٤. نحو عقيدة قرآنيـة، سليمـان خميس، دار الطباعة المحمديـة، ط/ ١٣٨٨هـ.
٣٥. نهاية الوصول في دراية الأصـول، صفي الدين بمن محمد الأروي، رسالة دكتوراة، جامعـة الإمـام بالرياض.